المحاضرة التاسعة: الوثائق والمخطوطات

سبق وأن تحدثنا بشيء من الاختصار عن أهمية الوثيقة والمخطوطة، وبينا دور النقد بشقيه الخارجي والباطني، حيث أصل لنا ذلك الحديث الخطوات المنهجية الي على الباحث أن يلتزم بها بأقصى ما يمكن، ونحاول الآن أن نفرد حديثا مختصرا بشكل إضافي عن الوثيقة والمخطوطة[1].

إذ تتوفر لدينا نحن العرب بعامة والجزائريين بوجه خاص عدد كبير من الوثائق والمخطوطات دون تحقيق ونشر، على الرغم من الشعور بأهميتها، ووجود بعض المتخصصين والمهتمين في الدراسات التاريخية، أشخاصا وهيئات، بجانب ما تدعوه الحاجة إلى ضرورة التحقيق والنشر من جهة، ومن جهة أخرى لما تحتوي عليه هذه الوثائق والمخطوطات من أصالة للحضارة العربية الإسلامية بحكم أنها دونت بأقلام عربية إسلامية خبيرة بأمور بلادها وعلى دراية بالعوامل المحركة لحياته، فهي الأقرب إلى العادة والتقاليد العربية الإسلامية، ومن ثم فهي أمهات المصادر، ولأن الأمة الحية الواعية لا تحاول الانسلاخ من ماضيها الذي يعد امتدادا لحاضرها ومستقبلها وهذا الماضي كان ولا يزال مصادر حية مكتوبة وشفهية. لأن العرب لم يعرفوا التدوين إلا في عهد معاوية مثلما ذكر، وذلك بحكم طبيعة حيواتهم المعتمدة أساسا على البداوة.

وبناء عليه فإن مسؤولية كبيرة ملقاة على عاتق كل مؤرخ ومهتم في التحقيق والنشر.

في عملية تحقيق المخطوط وتقديمه عادة تتبع الخطوات التالية، وذلك بعد دراسته ونقده... وفقا للضوابط المنهجية:

- يعرف بالمؤلف كأن يقدم ترجمة لحياته.
- يعرف بالمخطوط من حيث عدد الصفحات والمحتويات، والحجم والخط الذي كتب به نوعية الورق ولأنه حسب الرواة أن أولى الخطوط العربية عهد الدولة الإسلامية الخط المكي ثم الخط المدني فالبصري ثم الكوفي...الخ.
- مكان تواجد المخطوط والرمز الذي يحمله في الكشاف وفقا لنظام ذلك المكان مكتبة أو أرشيف أو ملك خاص...[2]

---

[1] – حميدة عمراوي، في منهجية البحث العلمي، ص ص: 81، 82.

[2] – المرجع نفسه، ص: 82.

– موضوع المخطوط: هل ينفرد المخطوط بموضوع معين أم يشترك مع مخطوطات أخرى في معالجة مواضيع هي نفسها.

– مصادر ومراجع المخطوط وموقف المؤلف منها، لأن أهمية المخطوط ترتفع برجوع صاحبه إلى مصادر ومراجع متعددة ومتنوعة.

– يبين المحقق الأهمية التاريخية بالنسبة للمخطوط كأن يستخرج الأحداث والوقائع ويربطها بذلك الواقع المعاش.. ثم يقوم باستخلاص واف للوقائع التاريخية، والمراسلات والقضايا التي طرحت في تلك الفترة.. ومن ثم تتعدى أهمية المخطوط من مجرد وثيقة إلى دراسة للفترة أو لمجتمع ما خلال عصر أو عهد معين.

– ثم يعرض المحقق منهج المؤلف في تقديم مخطوطه.. والدوافع التي حفزته على اختيار هذا الموضوع تحت هذا العنوان.

– ثم يقدم المحقق نصوصا كنماذج من المخطوط، ومن المستحسن أن تكون متنوعة، مقالات.. مراسلات.. خرائط...

– ثم يقدم خلاصة مضبوطة تشمل على اسم ما استخرجه من المخطوط[3].

وتؤكد أقدم المخطوطات العربية أن العرب لم يفردوا عنوانا للكتاب... وإنما يذكر العنوان ضمن المقدمة. وغالبا ما كان يترك صفحة أولى للكتابة غير مكتوبة. ويبدأ المخطوط بالبسملة، ونفس الشيء بالنسبة لعناوين الفصول والعناوين الجانبية التي تكتب في وسط الصفحة وبنفس اللون والحبر الذي يكتب به المخطوط، ثم تميز العناوين في مرحلة تالية، بلون مغاير كأن يكون أحمر.

وذلك بتطور الوراقة والوراقون، وهي مرحلة ساعدت حركة التأليف والترجمة والتي ظهرت مع أوائل العصر العباسي، خاصة على أيدي العناصر الفارسية التي أثرت الفكر العربي، وكذا السريانية التي ساعدت العرب على نقل التراث اليوناني والروماني.

لأن العرب بعد مرحلة التدوين انتقلوا إلى مرحلة التأليف ثم الترجمة، وحسب المصادر العربية الإسلامية الكثيرة، فإن مرحلة التأليف بدأت في عهد معاوية بن أبي سفيان[4].

---

[3] – حميدة عمراوي، في منهجية البحث العلمي، ص: 83.

[4] – المرجع نفسه، ص: 84.

قلنا أن منهج القوم (المسلمين) في نقد المتن، يتضمن ثلاث مراحل، أو خطوات أولاهما (كذا) تصحيح المتن لغويا... أي إصلاح المتن، وهذا لا يتأتى إلا باستبعاد ما فيه من أغلاط، ومردها أما إلى ضعف في البصر أو السمع... ولقد تبه بعدهم بزمن إلى هذا أصحاب النقد التاريخي الأوروبي، وأسموا هذه الخطوة الأولى من خطوات نقد النص بنقد التصحيح، وأرجعوا الأغلاط كذلك إلى مصدرين السمع والبصر.. فهذه الخطوة الأولى.. لا تؤدي إلى استعادة الأصل، لأن النتيجة التي يصل إليها هذا النوع من النقد، هو أن النص أصبح خاليا من الأخطاء لا صحيحا ولا مفهوما...

التفسير: ...تفسير حرفي يقوم على شرح كل كلمة غريبة... ويسمى هذا المصطلح الإسلامي بشرح الغريب... يطلق الأوروبيون على هذا النوع من التفسير اسم التفسير الحرفي... فإن النتيجة التي يصل إليها هذا النوع من التفسير هي فهم جزئيات المتن وألفاظه لا فهم المتن جملة. وعلى هذا لزم فهم المتن جملة. وقد توصل إلى هذا العلماء المسلمون عن طريق الاستنباط... لاستخراج ما به من أحكام... وهذه المرحلة من التفسير يسميها الأوروبيون... بتحديد المعنى الحقيقي... فالتفسير قاصر أيضا... ومن ثم لزم القيام بخطوة ثالثا هي:

-معرفة الصحيح من الزائف... وضع العلماء المسلمون قواعد كلية عامة لمعرفة صحيح المتن من زائفه... أما الأوروبيون فقد لجأو إلى طرق أخرى لاستعادة النص الأصلي أو معرفته يقوم أكثرها على التخمين وحساب الاحتمالات، ومن ثم كان فقد النص عندهم غير كاف وحده في الوصول إلى معرفة المؤلف الحقيقي للنص أو الخبر، لهذا عولوا على طريق أخرى في النقد كنقد المصدر.

أما بالنسبة لنقد المتن عند المسلمين فقد وصلوا بعد تصحيح المتن وتفسيره إلى عرفة أصله، أي صحيحه من زائفه لا عن طريق التخمين كما صنع الأوروبيون... أصف إلى هذا أن نقد السند أو المصدر قد ساعدهم على ...الوصول إلى الناقل الحقيقي للخبر... وهذا يفسر لنا ظهور نقد السند قبل المتن لأن نقد السند هو الأساس الذي عن طريقه أو بواسطته، يمكننا معرفة أصل المتن، وحقيقته ومدى نسبته إلى قائله أو ناقله.

تتفق (خطوات المنهج الإسلامي) كثيرا وأصول وخطوات منهج النقد التاريخي عند الأوروبيين... وأن ...السمات العامة للمنهجين واحدة تقريبا[5].

---

[5] – حميدة عمراوي، في منهجية البحث العلمي، ص: 85، 87.